النصوص الآثارية المتعلقة بدمشق

- ٣ -



« ذكر شيءٍ مما استقر عليه المسجد الى سنة ٧٣٠ هـ »

نص قديم

مهد له ، ونشره ، وعلق عليه

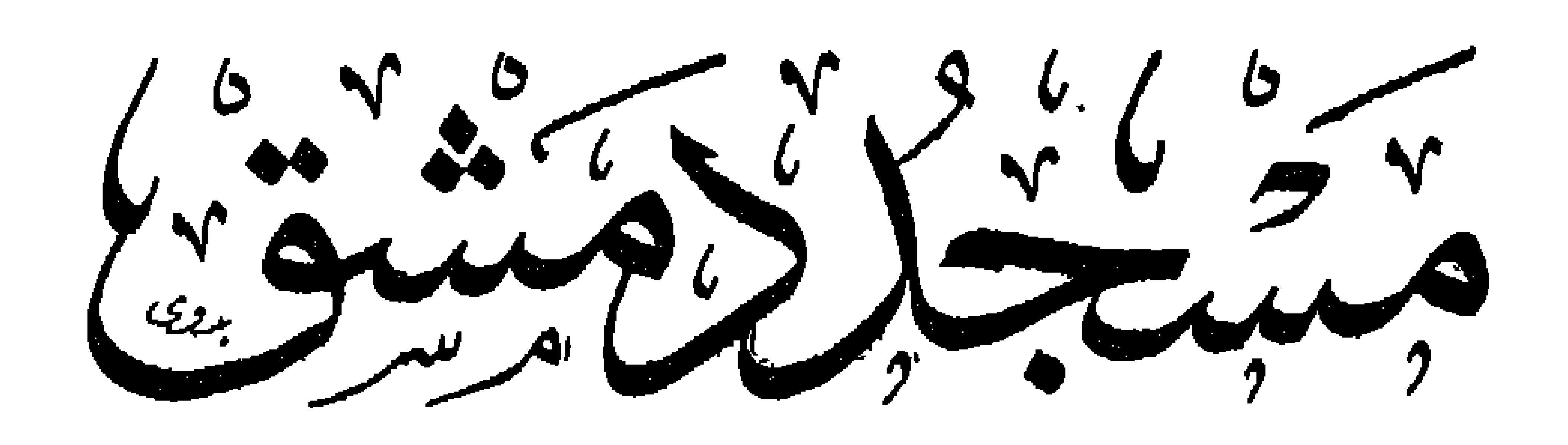
صلاح الدين المنجد

دمشق

١٩٤٨

النصوص الأثارية المتعلقة بدمشق

— ٣ —



« ذكر شيء مما استقر عليه المسجد الى سنة ٧٣٠ هـ »

نص قديم
مهد له ، ونشره ، وعلق عليه

صلاح الدين المنجد

دمشق
١٩٤٨

طبع من هذا الكتاب في المطبعة الهاشمية بدمشق خمسماية
نسخة على ورق أبيض عادي
وخمسون نسخة على ورق صقيل ممتاز مرقمة من ١ — ٥٠

مضمونات الكتاب

مقدمة

كنا عثرنا على نص مخطوط فيه « ذكر شيء مما استقر عليه الجامع الأموي إلى مستهل سنة ثلاثين وسبعماية » في ذيل مختصر تنبيه الطالب للبقاعي مستل من تاريخ الامام (؟) . وهو نص ذو شأن يبين حالة المسجد وتخطيطه بعد التجديد والترميم اللذين أجريا فيه أيام تنكز نائب الشام . فرأينا نشر هذا النص والتعليق عليه . فمهدنا له بكلمة عن تاريخ المسجد الجامع ، وبيان ما طرأ عليه من تغيير وتبديل ، وما أصابه من هدم وتعمير إلى سنة ٧٣٠ هـ .

وقد كنا نود أن نتابع ما أصاب المسجد بعد سنة ٧٣٠ إلى أيامنا ، فثنانا عن ذلك أن كثيراً من النصوص المتعلقة بتاريخ دمشق في القرنين التاسع والعاشر ما يزال مفقوداً أو مخطوطاً لا نستطيع الاطلاع عليه الآن .

والله نسأل أن ينفع به ، وهو حسبنا .

صلاح الدين المنجد

مسجد بني أمية

تمهيد

الجامع الأموي هو أروع ما أبدعه الأمويون في دمشق ، وأول خلق معماري في الاسلام.

يقوم في بقعة من أقدم بقاع العبادة في العالم . في زمن اليونان ، قبل ثلاثة آلاف سنة ، كان فيه معبد للاله Hadad إله العاصفة . فلما ألحقت دمشق برومية ، في القرن الأول قبل المسيح ، قام مقام هيكل Hadad معبد للاله جوبيتر Jupiter . وكان يحيط به سوران لهما مركز واحد : السور الأول ، وهو الخارجي ، طوله ثلاثماية متر وستون مترا وعرضه ثلاثماية متر وعشرة أمتار . والسور الثاني ، وهو الداخلي ، طوله مائة وستون متراً وعرضه مائة متر . وكان هذا السور الداخلي يحيط بالبيت القدس حيث يوضع تمثال الاله . وكان في الجهة الشرقية وفي الجهة الغربية ، من السور الخارجي ، بابان عظيمان ، كل باب مؤلف من باب كبير في الوسط وبابين أو فرخين على جانبيه . وكانت الدهاليز التي تبدأ من البابين العظيمين تجتاز ، وعلى جانبيها الأعمدة الكبار ، السور الداخلي ، بأبواب مشابهة ، وتوصل إلى بيت القدس .

وفي القرن الرابع أقام الامبراطور تيودوثوس Théodose بزليقة القديس يوحنا المعمدان Jean Baptiste ، ضمن السور الداخلي للمعبد وحافظ على المدخلين الجانبيين[1] .

فلما فتح العرب دمشق سنة أربع عشرة للهجرة اضطروا إلى إيجاد مكان يعبدون الله فيه ويقيمون الصلاة : فاتخذوا قسماً من صحن المعبد في الجنوب الشرقي منه لصلواتهم . وكان محراب الصحابة القائم في الناحية الجنوبية الشرقية من جدار المسجد المحراب الأول للمسلمين[2] . وظلّوا كذلك يصلون في طرف من الكنيسة إلى زمن الوليد ، فضاق بهم المكان ، وأزعجتهم نواقيس الرهبان[3] ، فطلب الخليفة من النصارى إعطاء الكنيسة والتخلي عنها ليبني مكانها مسجداً ، وبذل الأموال ووعدهم بالقطائع[4] .

(١) Massé, *L'Art de L'Islam*, p. 24

(٢) العمري ، مسالك الأبصار ص ١٩٥

(٣) المصدر السابق ١٧٩ ، ١٨٠

(٤) المصدر السابق ص ١٨٠

فلما امتنع النصارى، تملكها الوليد ثم دُفع للنصارى العوض عنها ، وجمع المسلمين لهدمها ، ويقال إن اليهود دُعوا لهدمها أيضاً فجاؤا ، وأخرج الرهبـــان من الصوامع والقلالي المحيطة بالسور(٥) .

ودعا الوليد ببنائين ونجارين من النصارى(٦) ، وشرع ببنـــاء المسجد الكبير ، وكان ذلك سنة ٨٧ هـ (٧) فرفعوا الكنيسة كلها ولم يبقوا منها إلا السور الداخلي(٨) . وكان يشرف على الأعمال أناس من المسلمين أنفسهم .

على أن هذه الكنيسة إذا رُفع ما كان ظاهراً منها فوق الأرض فقد تركت آثاراً لها في الأسس الاسلامية (٩) ، وأصبح المدخلان الرئيسيان ، باب جيرون من الشرق ، وباب البريد من الغرب يؤديان إلى صحن واسعة على جنباتها الشمالية والشرقية والغربية رواقات قائمات على أعمدة .. وعلى جانبـــه الجنوبي ، المصلّى . وهو مستطيل واسع يتألف من ثلاثة أروقة أو (بلاطات) تمتد من الشرق إلى الغرب، موازية للجدار الجنوبي القديم ، يقطعها في وسطها رواق من الشمال إلى الجنوب في منتصفه قبة شاهقة قامت على أربعة أركان ، هي القبة المعروفة بالنسر . وفي صدر الرواق الجنوبي مقصورة الخطابة ومحراب المسجد (١٠) .

واتخذ للمسجد ثلاث منائر : اثنتان في جناحي قبلته : شرقية وغربية ، وأساسها برجان قديمان ، والثالثة في شماله وتعرف بالعروس (١١) .

وجعلت مداخله أربعة أبواب أصول : الباب الشرقي أمام باب جيرون ، والباب

---

(٥) المصدر السابق ص ١٨٣

(٦) Sauvaget, *Monuments Historiques de Damas, p. 38*

(٧) النجوم الزاهرة ١ : ٢١٣

(٨) Sauvaget, *M. H. D, p. 15*

(٩) Massé, *L'Art de l'Islam, p. 25*

(١٠) المصدر السابق ص ٢٤

(١١) مسالك الأبصار ص ١٩٤

الغربي أمام باب البريد ، والباب الشمالي باب الفراديس لأنه من جهة الفراديس ، والباب الجنوبي باب الزيادة .

تلك هي قصة بناء المسجد ، على الجملة ، وذلك هو تخطيطه الأول .

* * *

يعد هذا المسجد كما ذكرنا رائعة الفن الاسلامي في باكورته ، وأروع ما أبدعه الأمويون من المساجد .

وعظمة هذا المسجد قائمة في رأينا على أمرين: اصالته في تخطيطه ، وتجاوزه حد الاتقان في زخرفته وتزويقه .

أما أصالة تخطيطه فقد أدركها المتقدمون وأثبتها المحدثون . ذكروا أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيى بن أكثم قال : ما أعجب ما في هذا المسجد ؟ قال المعتصم : دهنه وبقاؤه ، فانا ندعه في قصورنا فلا يمضي عليه عشرون سنة حتى يتغير . قال المأمون : ما ذاك أعجبني منه . فقال يحيى بن أكثم : تأليف رخامه . قال المأمون : ما ذاك أعجبني . قالا : فما هو ؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدم(١٢) .

وملاحظة المأمون دقيقة ، وهي تشير إلى الابداع الذي في هـذا المسجد . فهو شيء جديد ، قلد بعد بنائه* ، ولم يكن تقليداً لأي بناء قام من قبله** .

وكذلك أجمع صفوة أهل الاستشراق الآثاريين أن المسجد ليس مديناً بشيء إلى الكنيسة التي كانت مكانه(١٣) وأنه لا يشبه في تخطيطه تخطيط أي كنيسة بزنطية قامت قبله . يضاف

---

(١٢) تاريخ مسجد دمشق (مخطوط في الظاهرية عام ٣٩٧٥)

* (كما في مسجد الرصافة وحران وحلب) .

* * (كمسجد الكوفة) .

(١٣) Sauvaget, *La Mosquée Omeyyade de Médine* *(les Mosquées Omeyyades, p. 95)*

إلى ذلك أن كثيراً من عناصر تخطيطه وأقسامه يخالف تقاليد العمارة السورية النصرانية المتوارثة(١٤) وأن انسجاماً وتوافقاً يظهران فيه(١٥) .

أما تجاوزه الحد في زخرفته وتزويقه فأمر شادت به كتب التاريخ والأدب وشهدت به الأعين في كل زمان .

فلقد جمع الوليد لبنائه الحذّاق(١٦) ، وأتى من الأقاليم بمواد لابد منها كما أثبتت أوراق البردي(١٦) وأتى في زخرفته تفنناً عظيماً ، حتى لغط الناس وقالوا : لقد محق بيوت الأموال في نقش الخشب وتزويق الحيطان(١٧).

والحق أن الوليد أنفق على المسجد في سبيل زخرفته انفاقاً عريضاً . وقد أوضح المقدسي بعض السبب في ذلك إذ قال :

« قلت لعمي ياعم لم يحسن الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ولو صرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورمّ الحصون لكان أصوب وأفضل . قال : لاتعقلُ يابنيّ . إن الوليد وُفّق وكشف له عن أمر جليل ، وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ، ورأى لهم فيه بيعاً حسنة قد افتُتن في زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة ، ولدّ ، والرها . فاتخذ للمسلمين مسجداً شغلهم به عنهن ، وجعله إحدى عجائب الدنيا . »(١٨)

كانت أرض المسجد مفروشة كلها بالمرمر . أما الأعمدة فكانت من الملوّن والمنقوش والمذهب . وقد طليت قواعدها ورؤوسها بالذهب(١٩) وكانت الجدران مؤزرة إلى أنصافها بالرخام الأبيض والأحمر المنقط والأخضر المرشوش والأسود الغُرابي(٢٠) وما فوق ذلك فكانت فصوص الفسيفساء .

---

(١٤) Sauvaget, *M. H. D*, p. *36*
(١٥) المصدر السابق ص ٣٧
(١٦) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٥٨
(١٦ مكرر) Sauvaget, *Mosquée de Médine*, p. *115*
(١٧) مسالك الابصار ص ١٨٦
(١٨) أحسن التقاسيم ص ١٥٩ . وانظر الخزانة الشرقية للزيات ٢ : ٨٨
(١٩) مسالك الابصار ص ١٩٧
(٢٠) المصدر السابق ص ١٩٦

والفسيفساء فصوص صغار تكون إما من الزجاج الملوّن ، وبعضه شاف ، أو من الحجر المعجون . تغشى بالذهب ، ويطبق عليها زجاج رقيق ، ثم يعجن الجص ونحوه بالصمغ العربي ويبسط على الحائط وترصّع فيه هذه الفصوص على أشكال شتى وكتابات تتلألأ بالأصباغ والذهب[٢١] .

وقد كانت صناعة الفسيفساء معروفة في دمشق ، وكانت معظم الكنائس والأديار مزدانة جدرانها وسقوفها وهياكلها بهذه الفصوص المذهبة على ضروب شتى من التمثيل والتصوير كما أن العرب من اللخميين والغسّانيين والنجرانيين عرفوها[٢٢] ومن المرجح جداً أن نصارى الشام هم الذين قاموا بوضع فسيفساء الجامع على انموذجات معينة استمدوا بعض عناصرها من بيئة دمشق نفسها ، وكانوا يمثلون المدرسة الفنية المحلية التي كانت مزدهرة في سورية حين فتحها العرب[٢٣] .

أما رواية إرسال آلاف العمال من بلاد الروم الى دمشق لوضع الفسيفساء فرواية طُعِن عليها كثيراً[٢٤] ومن المحتمل أن يكون العمل قد جرى تحت إشراف صانع أو صناع بزنطيين معدودين . أما قطع الفسيفساء نفسها فكان يفرض على الغزاة في بلاد الروم أن يحملوها معهم إذا قفلوا من غزواتهم[٢٥] .

حليت جدران المسجد إذن كلها بفصوص الذهب هذه ، وخلطت بها أنواع من الأصبغة الغريبة مثلت أشجاراً مختلفة أو فروعاً من أشجار[٢٦] نرى بينها الحور والسرو وغير ذلك كما صوروا سائر البلدان المشهورة بحيث أن الانسان كان إذا أراد أن يتفرج في اقليم أو بلد وجده في الجامع مصوراً كهيئته ، فلا يسافر اليه ولا يعنى في طلبه[٢٧] وكانت الكعبة فوق

---

(٢١) الفسيفساء وصناعها قديماً ، الخزانة الشرقية لحبيب الزيات ٢ : ٨١

(٢٢) المصدر السابق ص٨٧ . وانظر معجم ما استعجم للبكري مادة (دير نجران) .

(٢٣) Creswell, *Early Muslim Architecture. T. I, p. 101 et suiv.*

(٢٤) الفسيفساء وصناعها ص ٨٣ وما بعدها

(٢٥) تاريخ مسجد دمشق (مخطوط ، ورقة ٥) ومسالك الأبصار صفحة ١٩١

(٢٦) المصدر السابق ورقة ٥ ، وتحفة الأنام في فضائل الشام للبصراوي (مخطوط في الظاهرية ورقة ١٢ ا)

(٢٧) البداية والنهاية ١٢ : ٩٧

المحراب[٢٨] وكان فوقه أيضاً كرمة من ذهب أحمر يقولون إنه أنفق عليها سبعون الف دينار[٢٩].

وقد كشف عام ١٩٢٩ وعام ١٩٤٥ على قسم من هذه الفسيفساء في الحائط الغربي لصحن المسجد ، وجدار المصلى الشمالي من ناحية الصحن ، ورؤي فيها قصور ودور ، وأشجار مختلفة مثمرة كالسرو والحور ، ونهر يتدفق كأنه بردى ، وغابة تذكر بغوطة دمشق ، وملعب خيل يذكر بميدان السباق الذي بناه الخليفة هشام بدمشق[٣٠].

وإلى جانب ما ذكرنا من رخام ومرمر ، وفصوص من الذهب فيها صور البلدان والأشجار والأنهار ، وأعمدة ملونة ومذهبة ، كانت ستور الحرير مرخاة على الأبواب والنوافذ ، والجوهر يتلألأ فوقها[٣١] والخشب المنقوش يزين تلك الأبواب ، وآلاف من القناديل تشتعل بالمسك فتفوح رائحتها ويعبق شذاها[٣٢].

كل اولئك أثر في نفوس العرب القادمين من الصحراء ، فرأوا في المسجد أشاوي لاعهد لهم بمثلها ، فجعلوه إحدى عجائب الدنيا . وقالوا : لم يكن في الدنيا بناء أحسن منه ، لا قصور الملوك ولا غيرها[٣٣].

ومن المؤسف أن يُفقد هذا المسجد بهجته ونضرته وتزويقه خمسُ حرائق نشبت فيه أولها زمن الفاطميين وآخرها زمن السلطان عبد الحميد .

والمصلى اليوم بحالته الحاضرة صنع أيام السلطان عبد الحميد ، وقد حافظ المسجد على تخطيطه وجدرانه التي كانت منذ بنائه القديم .

* * *

(٢٨) تاريخ مسجد دمشق ورقة ١٠

(٢٩) المصدر السابق ، ومسالك الابصار صفحة ١٨٧ ، ومهذب ابن عساكر ١ : ٢٠٦

(٣٠) E. de Lorey, *Les Mosaiques de la Mosquée des Omeyyades.*

(٣١) تنبيه الطالب للنعيمي ، (مخطوط) مسجد دمشق

(٣٢) مهذب ابن عساكر ١ : ٢١١ وقد وصف بعض هذا نابغة بني جعدة شعراً

(٣٣) البداية ونهاية ١٢ : ٩٨

المسجد خلال العصور

القرن الأول

سنة

٨٦ = بدأ الوليد عمارته سنة ٨٦ هـ ، وفرغ من بنائه عام ٩٦ هـ (١)

٩٧ = عملت لسليمان بن عبد الملك مقصورة أمام المحراب حين استخلف عام ٩٧ هـ (٢)

القرن الثاني

١٣١ = أصابت زلزلة دمشق فانشق سقف في المسجد (٣) .

١٦٠ = بنيت القبة الشرقية في الصحن وذلك أيام المهدي (٤) .

١٧٢ = أقام الفضل بن صالح أمير دمشق في الصحن القبة الغربية وتعرف بقبة المال (٥) .

القرن الثالث

٢٣٣ = زلزلت دمشق ، فقطعت ربعاً من الجامع وتزايلت الحجارة العظام ، ووقعت المنارة (٦) .

---

(١) تاريخ مسجد دمشق (مخطوط) ورقه ٢٣ ب — مهذب ابن عساكر ١ : ٢٠٦

(٢) مهذب ابن عساكر ١ : ٢٠٧

(٣) كشف الصلصلة في وصف الزلزلة للسيوطي ، (مخطوط في الظاهرية ، عام ٦٦٥٨) ورقه ٥٢ ب

(٤) تاريخ مسجد دمشق (مخطوط) ورقة ٣٠ آ

(٥) شذرات الذهب ١ : ٢٨١ . وقيل إن الوليد بن عبد الملك أنشأها لحفظ كتبه التي اوقفها على الجامع (تعطير المشام في مآثر الشام للقاسمي ، مخطوط في خزانة الاستاذ ظافر القاسمي ، ورقة ١٤٠ ج ٣)

(٦) كشف الصلصلة ورقه ٥٣ آ

القرن الرابع

٣٦٩ = أقيم في الصحن ، أمام رواق المحراب ، قبة من الرخام فيها فوارة ماء(٧)

القرن الخامس

٤١٦ = انشئت الفوّارة المنحدرة وسط جيرون . أجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدولة حمزة بن الحسن الحسيني (٨) ، وكأنه كان ناظر الجامع (٩)

٤٤١ = أقيم في الصحن عامودان ، جُعلا لتنوير الجمع ، ووضعا في رمضان من هذه السنة باذن قاضي البلدة (١٠) .

٤٥٧ = سقطت فوّارة جيرون من جمال تحاكت بها فأنشئت كرة أخرى (١١)

٤٦١ = اختصم العباسيون والفاطميون بدمشق ، فألقيت نار بدار الملك وهي الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة فاحترقت وسرى الحريق إلى الجامع فسقطت سقوفه ، وتناثرت فصوصه ، وتغيّرت معالمه ، وصارت أرضه طيناً زمن الشتاء وغباراً زمن الصيف محفورة مهجورة (١٢) . ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة ، وصاروا أيام الجماعات يصلّون فيه على التلال (١٣) .

---

(٧) مهذب ابن عساكر ١ : ٢٠٤ – مسالك الابصار ص ١٩٩

(٨) مسالك الابصار ص ٢٠٠

(٩) تاريخ مسجد دمشق ورقة ٣٠ آ

(١٠) تعطير المشام ورقة ١٤١ ب ج ٣ .

(١١) مسالك الأبصار ص ٢٠٠

(١٢) البداية والنهاية ١٢ : ٩٧ ، ٩٨

(١٣) تاريخ دمشق للقلانسي . حاشية رقم ١ ص ٩٦ ، ٩٧ . – اللمعات البرقية لابن طولون ص ٧١

٤٧٥ = جددت عمارة قبة النسر ، وسقف المقصورة ، والطاقات ، والأركان الأربعة في دولة السلطان ملكشاه بن محمد ، وأخيه تتش السلجوقيين وأيام وزارة نظام الملك ، وأنفق على ذلك الوزير أحمد بن الفضل [١٤] . وفي متحف دمشق كتابتان تذكران ذلك [١٥] .

القرن السادس

٥٠٣ = جددت عمارة الحائط الشمالي أيام المستظهر العباسي بأمر قتلغ أتابك أبي سعيد طغتكين [١٦] .

٥٠٣ = جدد الحائط الشمالي بأمر السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي [١٧] .

٥١٤ = أقيم شاذروان فوق فوّارة جيرون [١٨] .

٥٥٢ = وافت زلزلة عظيمة في دمشق لم يُرَ مثلها ، فرمت من فصّ الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن إعادة مثله [١٩] .

٥٦٢ = احترقت اللبادين وباب الساعات حريقاً عظيماً وذهبت أموال الناس [٢٠]

٥٦٢ = سقطت عمد فوّارة جيرون وما عليها [٢١] .

---

(١٤) Repertoire, VII, No 734, p. 214

(١٥) انظر دليل متحف دمشق

(١٦) Repertoire, VIII, No 2933, p. 81

(١٧) المصدر السابق رقم ٢٩٣٤

(١٨) تاريخ مسجد دمشق ورقة ٣٠آ

(١٩) تاريخ دمشق للقلانسي ص ٣٤٤

(٢٠) دول الاسلام للذهبي (حيدر أباد الدكن ١٣٣٧) ٢ : ٥٤

(٢١) مسالك الأبصار ص ٢٠٠

٥٧٠ = احترقت الكلاسة [٢٢] . واحترقت معها مئذنة العروس . أمر السلطان صلاح الدين بتجديد المئذنة [٢٣] .

٥٧٥ = جدد السلطان صلاح الدين ركنين من القبة في شهور سنة خمس وسبعين وخمسماية[٢٤] كتابة تذكر ذلك في متحف دمشق[٢٥]

٥٩٧ = كانت زلزلة عظيمة سقط فيها طائفة كثيرة من المنارة الشرقية وأربع عشرة شرافة منه ، وغالب الكلاسة[٢٦] وتشققت قبة النسر وتهدمت بالناس[٢٧]

٥٩٨ = زلزلة رمت رؤوس منائر جامع دمشق وبعض شراريفه من شماله[٢٨]

القرن السابع

٦٠٢ = هدمت القنطرة الرومانية عند الباب الشرقي ونشرت حجارتها ليبلط بها الجامع الأموي بسفارة الوزير صفي الدين بن شكر (-٦٢٢) وزير العادل ، وكمل تبليطه في سنة أربع وستماية[٢٩]

٦٠٢ = في اول شوال غيروا من قبة الجامع عدة أضلاع من شمالها[٣٠]

٦٠٤ = كمل تبليط الجامع[٣١]

---

(٢٢) مختصر تنبيه الطالب ص ٧١
(٢٣) المصدر السابق
(٢٤) *Repertoire, X No 3343, p. 98*
(٢٥) دليل متحف دمشق ص ٢٤
(٢٦) البداية والنهاية ١٣ : ٢٨
(٢٧) ذيل الروضتين ص ٢٠ ، وفيه أنها ست عشرة شرفة .
(٢٨) المصدر السابق ص ٢٩
(٢٩) البداية والنهاية ١٣ : ٤٤ وانظر تاريخ مسجد دمشق (مخطوط) ورقة ٢٧ ب
(٣٠) ذيل الروضتين ص ٥٤
(٣١) البداية والنهاية ١٣ : ٤٤

٦٠٧ = جددت أبواب الجامع من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر وركبت في أماكنها(٣٢)

٦٠٧ = شرع في إصلاح الفوارة بجيرون ، وعمل الشاذروان والبركة واتخذ في الساحة مسجد بامام راتب(٣٣)

٦١١ = شرع الملك العادل بتبليط رواقات الجامع الداخلية ، وابتدأ بالحجر الشرقية مكان السبع الكبير . وكانت أرض الجامع قبل ذلك حفراً وجورا(٣٤) فاستراح الناس بتبليطه(٣٥)

٦١٣ = أحضرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قبة النسر طول كل واحدمنها اثنان وثلاثون ذراعاً بذراع النجارين. قطعت من الغوطة ودخل بها من باب الفرج الى المدرسة العادلية الى باب الناطفانيين واقيم هناك لها الصاري ورفعت ثم وضعت(٣٦)

٦١٤ = كمل تبليط داخل الجامع . وجاء المعتمد مبارز الدين ابراهيم المتولي بدمشق فوضع آخر بلاطة منه بيده عند باب الزيادة فرحاً منه(٣٧)

٦١٧ = نصب محراب الحنابلة في الرواق الثالث الغربي من الجامع بعد ممانعة من بعض الناس لهم . ولكن ساعدهم بعض الامراء في نصبه وهو الامير ركن الدين المعظمي .(٣٨)

---

(٣٢) البداية والنهاية ١٣ : ٥٧ ، وذيل الروضتين صفحة ٧٦

(٣٣) مسالك الابصار ص ٢٠٠ – البداية والنهاية ١٣ : ٥٧ – ذيل الروضتين ص ٧٦

(٣٤) ذيل الروضتين ص ٨٦ – السلوك للمقريزي ج ١ – ق ١ – ص ١٨٠

(٣٥) البداية والنهاية ١٣ : ٦٧

(٣٦) ذيل الروضتين ص٩٢ – والبداية والنهاية ص ١٣ : ٧١

(٣٧) البداية والنهاية ١٣ : ٧٥

(٣٨) المصدر السابق ١٣ : ٩١

٦٣٥ = توفي الملك الكامل محمد ابن العادل بقاعة القضية بقلعة دمشق . ودفن بالقلعة حتى كملت تربته بالحائط الشمالي من الجامع ، وفتح لها شباك في الرواق الشمالي .(٣٩)

٦٤٦ = وقع حريق بالمنارة الشرقية فاحترق أعلاها ، وجميع ما فيها من البيوت(٤٠) وكانت سلالمها سقالات خشب . وقدم الصالح نجم الدين أيوب الى دمشق فأمر باعادتها كما كانت .(٤١)

٦٤٧ = أمر نائب السلطان بدمشق الأمير جمال الدين بن يغمور بتخريب الدكاكين المحدثة وسط باب البريد .(٤٢)

٦٦٣ = شرع ، في رمضان ، بتبليط باب البريد من باب الجامع الغربي الى القناة التي عند الدرج . وعمل في الصف القبلي منها بركة وشاذروان وكان في مكانها قناة من القنوات ينتفع بها الناس عند انقطاع نهر باناس (٤٣) .

٦٦٤ = كملت عمارة الحوض الذي في شرقي القناة بباب البريد ، وعمل له شاذروان وقبة وانابيب يجري منها الماء الى جانب الدرج الشمالية (٤٤) .

٦٦٥ الى سنة ٦٧٦ = أمر الملك الظاهر باخراج الخزائن والمقاصير التي كانت في الجامع ، فكانت قريباً من ثلاثمائة . فاستراح الناس واتسع المسجد (٤٥) .
استجد الظاهر كثيراً من الرخام في الحائط الشامي (٤٦) .
جدد كثيراً من الفسيفساء في الناحية الغربية (٤٧) .
جدد مشهد زين العابدين .
جدد باب البريد وفرشه بالبلاط (٤٨) .

---

(٣٩) السلوك للمقريزي ج ١ – ق ١ – ص ٢٥٨ ، البداية والنهاية ١٣ : ١٤٩
(٤٠) ذيل الروضتين ص ١٨٢
(٤١) البداية والنهاية ١٣ : ١٧٥
(٤٢) المصدر السابق ١٣ : ١٧٧
(٤٣) البداية والنهاية ١٣ : ٢٤٥ ، ذيل الروضتين صفحة ٢٣٦
(٤٤) البداية والنهاية ١٣ : ٢٤٦ ، ذيل الروضتين صفحة ٢٣٧
(٤٥) البداية والنهاية ١٣ : ٢٤٩ ، السلوك للمقريزي ج١-ق٢-٥٤٩ « جعلها سنة ٦٦٤ »
(٤٦) مسالك الابصار ص ١٨٥
(٤٧) ومن هذا الضرب من الفسيفساء كسيت جدران تربة الملك الظاهر
(٤٨) النجوم الزاهرة ٧ : ١٩٥ ، ١٩٦

٦٧٨ = جددت أربعة أضلاع في قبة النسر من الناحية الغربية (٤٩) .

٦٨١ = احترق في رمضان سوق اللبادين وسوق جيرون بدمشق الى حيطان الجامع ، واتصل الحريق الى حمام الصحن ودار الخشب . واستمر ثلاثة أيام . واحترق سوق الكتبيين . فكان مما احترق فيه لشمس الدين ابراهيم الجزري الكتبي خمس عشرة الف مجلد غير الكراريس والاوراق . وكان سبب هذا الحريق العظيم أن بعض الذهبيين غسل ثوبه ونشره ، وجعل تحته مجمرة نار وتركها وتوجه للفطور فتعلقت النار بالثوب واتصلت ببارية (حصير منسوج) كانت معلقة ، ومنها الى السقف وسلم أربعة دكاكين من ناحية درج اللبادين (٥٠) .

ومما احترق في هذا الحريق الزجاجين حتى المرجانيين والخواتميين(٥١) .

٦٩٨ = فتح مشهد عثمان الذي جدده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع . وأضاف اليه مقصورة الخدم من شماليه ، وجعل له إماماً راتباً وحاكى به مشهد زين العابدين (٥٢) .

٦٩٩ = التتر يدخلون دمشق . يضعون المجانيق في صحن الجامع ليرموا بها القلعة ، نزلوا في مشاهده ، يحرسون أخشاب المجانيق وينهبون ما حوله من الاسواق(٥٣). واتخذوه حانة يزنون فيه ويلوطون ويشربون الخمر(٥٤).

---

(٤٩) البداية والنهاية ١٣ : ٢٨٩

(٥٠) تاريخ ابن الفرات ٧ : ٢٠٠

(٥١) تاريخ دول الاسلام ٢:١٤٢

(٥٢) البداية والنهاية ١٤ : ٤

(٥٣) المصدر السابق ١٤ : ٩

(٥٤) السلوك للمقريزي ج ١ ـ ق٣ ـ ص ٨٩٣

٧٠٢ = زلزلة عظيمة تشققت منها جدر جامع دمشق (٥٥) .

٧١٩ = شرع باصلاح رخام الجامع وترميمه ، وحلى أبوابه وتحسين ما فيه (٥٦)

٧٢٢ = كمل بسط داخل الجامع فاتسع على الناس . وقد كان الناس يمرون وسط الرواق ويخرجون من باب البرادة ، ومن شاء استمر يمشي إلى الباب الآخر بنعليه . ولم يكن ممنوعا سوى المقصورة ، لايمكّن أحد الدخول إليها بالمداسات بخلاف باقي الرواقات ، فأمر نائب السلطنة بتكميل بسطه باشارة ناظره ابن المرحل (٥٧) .

٧٢٧ = كمل ترخيم الجامع الاموي في حائطه الشمالي . وجاء تنكز فأعجبه وشكر ناظره تقي الدين بن المرحل (٥٨) .

٧٢٨ = نُقض الترخيم الذي بحائط الجامع القبلي من جهة الغرب مما يلي باب الزيادة فوجدوا الحائط متجافيا ، فخيف من أمره ، وحضر تنكز بنفسه ومعه القضاة وأرباب الخبرة فاتفق رأيهم على نقضه وإصلاحه . وكتب نائب السلطنة إلى السلطان يعلمه بذلك ، ويستأذنه بعمارته . فجاء المرسوم بالاذن بذلك . فشرع في نقضه ، وفي عمارته . وعمل محراب فيما بين الزيادة ومقصورة الخطابة يُضاهي محراب الصحابة . وتبرع كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مائة رجل . حتى كملت عمارة الجدار وأعيدت طاقاته وسقوفه بهمة تقي الدين بن المرحل .

---

(٥٥) السلوك للمقريزي ج ١ - ق٣ - ص ٩٤٤
(٥٦) البداية والنهاية ١٤ : ٩٢
(٥٧) المصدر السابق ١٤ : ١٠٢
(٥٨) المصدر السابق ١٤ : ١٢٩

وساعدهم على سرعة الاعادة حجارة وجدوها في أساس الصومعة الغربية التي عند الغزالية . وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة ، كما في الغربية والشرقية القبليتين منه . فأبيدت الشماليتان قديماً ولم يبق منهما سوى أس هذه المئذنة الغربية الشمالية ، فكانت من أكبر العون على إعادة الجامع(٥٩)

٧٢٨ = رسم للأئمة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي بالصلاة في الحائط القبلي من الأموي فعين المحراب الجديد الذي بين الزيادة والمقصورة للامام الحنفي . وعين محراب الصحابة للمالكي . وعين محراب مقصورة الخضر الذي كان يصلي فيه المالكي ، للحنبلي وعوض امام محراب الصحابة بالكلاسة . واستقر الأمر . وكان قبل ذلك في حال العمارة قد بلغ محراب الحنفية في المقصورة المعروفة بهم . ومحراب الحنابلة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي(٦٠) .

٧٢٩ = في الحادي والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي . وبسط الجامع جميعه . وصلي بالناس الجمعة به من الغد . وفتح باب الزيادة ، وكان له أياماً مغلقاً(٦١) .

٧٣٠ = شرع بترخيم الجانب الشرقي من الأموي بنسبة الجانب الغربي . وشاور ابن المرحل النائب والقاضي على جمع الفصوص من سائر الجامع في الحائط القبلي فرسماله بذلك(٦٢) .

---

(٥٩) البداية والنهاية ١٤ : ١٣٣ – ١٣٤ وانظر تاريخ مسجد دمشق (مخطوط) ورقة ٢٨ آ
(٦٠) « ١٤ : ١٣٤ – ١٣٥
(٦١) « ١٤ : ١٤٣
(٦٢) « ١٤ : ١٤٨

تخطيط الجامع الأموي

أول ما نبتديء به ذكر قياس الجامع بالخطوة لأنه بالذراع يتعذر ذلك .

طوله من باب الساعات(١) إلى باب البريد(٢) مايتا خطوة وثمانون خطوة شرقاً بغرب ، وقبلة بشآمماية وخمسة وسبعون خطوة ؛ منها داخل الجامع ثلاث رواقات كل رواق خمسة وعشرون خطوة إلى حد الأبواب . وصحن الجامع تسعة وثمانون خطوة . والرواق الشمالي أحد عشر خطوة(٣) .

وداخل الجامع المنارة الشرقية(٤) ، في أسفلها بيت طهارة(٥) وقاعتان ، إحداها زاوية الخدم وفيها بيوت ثلاث طبقات . وإلى جانبها مشهد أبي بكر الصديق(٦) ، وفيه بركة ماء ، وفيه فقراء صالحون مجاورون . وله إمام ومؤذن ورواتب ، وشباك إلى الجامع .

---

(١) سمي باب الساعات لساعات كانت عليه صنعها فخر الدين رضوان ابن الساعاتي أيام نور الدين (عيون الانباء في طبقات الاطباء ٢ : ١٨٤) وقد وصف هذه الساعات ابن جبير (الرحلة ، ط . اوروبة ، ص ٢٧٠) وابن فضل الله العمري (مسالك الابصار ص ١٩٨) . وانظر تاريخ مسجد دمشق (مخطوط في الظاهرية ورقة ٢٥ آ) . و Sauvaget, *M.H.D, P.24,28* .

(٢) الباب الغربي للمسجد انظر صفحة ٢٨ .

(٣) اختلف قديماً في قياس الجامع لاختلاف مايقاس به ونوعه . ففي ابن عساكر : « وطول هذا الجامع من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة وهي ثلاثماية ذراع . وفي العرض من القبلة إلى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع . » (مخطوطة ابن عساكر ، في الظاهرية . رقم ١ مجلد ١ ورقة) . ونقل ابن جبير « ص ٢٦٣ » هذا الذرع وأضاف « وسعة كل بلاط من بلاطاته ثمان عشرة خطوة » وقياس الجامع اليوم حسب مخططات المساحة الرسمية هو : ١٥٥ م × ٩٧ م . وهو أدق وأصح قياس . قايس هذا بما ورد في : Marçais, *L'Art de l'Islam (Ed. Larousse) p.24.*

(٤) انظر : Sauvaget, *M.H.D. p. 32*

(٥) في ذيل الروضتين : « وكان فخر الدين ابن عساكر إذا فرغ من التدريس في البيت الصغير بمقصورة الصحابة يخلو فيه للعبادة ومطالعة الكتب ، ومتى احتاج إلى طهارة خرج منه الى المئذنة الشرقية فقضى حاجته بمكان الطهارة المجدد بها خارج حائطها القبلي ، وبه الماء الجاري » ص ١٣٧

(٦) قال العلموي : سمي المشهد مشهداً لأنه محل التعبد وتشهد له تلك البقعة عند الموت « مختصر تنبيه الطالب ص ٦٤ »

وبعد [ه] باب الساعات ثلاثة أبواب أكبرها الوسطاني(٧) . ثم بيت الزيت(٨) . وإلى جانبه من الشمال مشهد علي(٩) زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين . وهو ثلاث قيل أحدها كان فيه رأس الحسين(١٠) عليه السلام ، والدعاء فيه مستجاب . وفي الوسطاني بركة ماء ، وله شباك يفتح إلى تحت الساعات . والبراني فيه شباكان يفتحان إلى صحن الجامع ؛ أحدهما يقال له الروضة كان يجلس فيه يزيد يتحدث مع زين العابدين . وقدامه قبة تسمى قبة يزيد(١١) كان يجلس فيها . وله إمام ومؤذن . وإلى جانبه مقصورة الحنفية(١٢) ولها إمام ومؤذن ، وزاوية للفقراء الحلبيين المجاورين بالجامع ، وفيها قاعة صغيرة ، ولها باب إلى اللبادين .

---

(٧) على الباب الصغير الشمالي من هذه الأبواب الثلاثة مايلي :

بسم الله الرحمن الرحيم — ادخلوها بسلام آمنين

النصر شيخ

عز لمولانا السلطان الملك

المؤيد أبو — باشارة المقر الأشرف (....) بنظر من زاده

قليل سليان بن خليل

(٨) مكان يحفظ فيه ما يشترى للمسجد من زيت وما ينذر له . ويكون مثل هذا البيت في الكنيسة أيضاً .

(٩) وينسب لعلي بن أبي طالب أيضاً . قال ابن جبير « ص ٢٦٧ » : ويذكر الشيعة أنه مشهد لعلي .وهذا من أغرب مختلقاتهم . وقد كان هذا المشهد مهملاً في القرن الماضي . قال المنيني في كتابه « الاعــلام بفضائل الشام ، مخطوط في الظاهرية رقم ٤٦٣٩ ، ورقة ١٧ ب» : وقد كان مصكوك الباب مهجوراً دائراً لم يفتح من مدة مديدة حتى اتصل خبره بحضرة سليان باشا محافظ الشام سابقاً فجدده وأسكن به رجلا من صلحاء الصوفية يتعبد الله فيه مع مريديه من الفقراء . »

(١٠) عن رأس الحسين انظر جواب ابن تيمية عن سؤآل وجــه له « مخطوط في الظاهرية . مجموع ٩٩ « ١٠٦ »

(١١) وكان يقال لها قبة عائشة « تاريخ مسجد دمشق ، مخطوط » وكان يدرس تحتها التاج الكندي«البداية والنهاية ١٣ : ١٩٤ » ، وتعرف اليوم بقبة الساعات . وقد سقطت في زلزال عام ١١٧٣ هـ فأعيد بناؤها على جدران « المقصورة التاجية لدهمان ص ٤ » ،

(١٢) هي مقصورة ابن سنان الحنفية وعرفت بالسلارية ، وبالتاجية وبالحلبية . « تنبيه الطالب ١ : ٤٨٣ » وكان بها خزانة كتب وقف «مسالك ص١٩٦» . وانظر عن تاريخها والكتابات التي فيها: «المقصورة التاجية لدهمان » و « مدارس دمشق ... للاربلي ص ١٣ »

. والحائط الشمالي فيـــه تربة (١٣) الملك الكامل بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب . ولها ثلاث شبابيك أحدها يُفتح ويغلق ويتعارق منـه إلى الجامع (١٤) ومن الجامع إلى التربة إلى الطريق . وإلى جانب الـتربة الخانقاه السميساطية (١٥) . ثم باب الناطفانيين (١٦) وهو باب كبير بمصراعين (١٧) . وإلى جانبه مئذنة العروس (١٨) . وإلى

---

(١٣) توفي الملك الكامل بقلعة دمشق سنة ٦٣٥ ﻫ ، ودفن بهـــا إلى أن بنيت تربته جوار الجامع شماليه بين دويرتي السميساطي « ذيل الروضتين ص ١٦٦ » وقـد انشـأ هذه التربة بناته وكان بها قراء « مختصر التنبيه ص٢٠٦ » ودفن عنده سنة ٦٤٢ ﻫ الملك المغيث عمر بن الصـــالح أيوب « البداية والنهاية ١٣ : ١٦٥ » وما يزال اليوم قبره قائماً .

(١٤) هذا الشباك الذي كان يفتح جعل في أيامنـــا نافذة كبيرة . وفوقه كتابة بخط نسخي أيوبي جميل في سطرين فيها مايلي : (١) بسم الله الرحمن الرحيم . يبشرهم ربهم .. الآية . توفي السلطـان الشهيد الملك الكامل ناصر الدنيا والدين (٢) أبو المعالي محمد بن الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب . توفي بين العشائين ليلة الخميس الثاني والعشرين من شهر رجب سنة (٣) خمس وثلاثين وستماية .

و انظر *Repertoire* ج ١١ رقم ٤١٣٩ » . وقد فكت دائرة الآثار منذ شهور جدار التربة ورفعت الكتابة لتجديده بسبب ميل ظهر فيه .

(١٥) الخانقاه رباط الصوفية . والسميساطية بناها أبو القاسم علي بن محمد السميساطي توفي سنة ٤٥٣ ﻫ . وكان وجيهاً . وكانت تسمى دويرة الفقراء « مختصر التنبيه ص ١٤٤ – شذرات الذهب ٣ : ٢٩١ – دور القرآن بدمشق ص ٧٨ » وقد جددت سنة ٧٢٨ ﻫ أيام تنكز « البداية والنهاية »

(١٦) ويعرف ايضـــاً بباب الفراديس « أحسن التقاسيم للمقـدسي ص ١٥٨ » وباب النطافين « مهذب ابن عساكر ١ : ٢٤٩ » وباب السلسلة « مختصر التنبيه ص٧ » ويسمى اليوم باب العمارة . انظر« دور القرآن بدمشق ص ٦٥ » و Lestrange, *Palest. Under Moslems, p. 266* Sauvaget, *M.H.D, p.27*

(١٧) ما يزال في أيامنا بمصراعين ، ملبسين بالنحاس وعليها ما يلي :

	المصراع الأيمن	المصراع الأيسر
في الأعلى :	بسم الله الرحمن الرحيم ادخلوها	بسلام آمنين . جدد هذا الباب المبارك في شهر المحرم من سنة ثمان وتسع ماية
في الأسفل :	عمر هذا الباب المبارك في أيام مولانا السلطان	الملك الناصر فرج بن برقوق باشره مولانا ملك الأمرآء

وعلى الباب ، بين الكتابات رنك ذلك السلطان .

(١٨) مئذنة بناها الوليد . واحترقت سنة ٥٧٠ ﻫ « مختصر تنبيه الطالب ص ٧١ – مسالك الابصار ١٩٠» قسمها العلوي محدث في زمن الأتراك (Sauvaget, *M. H. D, p. 27*)

جانبها الكلاسة (١٩) ولها باب كبير (٢٠) يفتح إلى الجامع وثلاث شبابيك ومحرابان وإمامان ومؤذنان راتبان . وفيها بركة ماء كبيرة لأجل الوضوء .

وإذا أذن أول من يصلي إمام الكلاسة ، ومن بعده إمام مشهد علي زين العابدين رضي الله عنه ، ومن بعدهما خطيب الجامع الشافعي ، ومن بعده إمام الحنفية ، ومن بعده إمام المالكية ، ومن بعده إمام الحنابلة ، ومن بعده إمام مشهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن بعده مشهد عروة ، وبعده مشهد عثمان رضي الله عنه(٢١) .

ومحراب الكلاسة من الغرب . وهؤلاء الأئمة الراتبة بالجامكيات . وإلى جانب الكلاسة من جهة الشمال تربة(٢٢) الملك الأشرف موسى بن العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب . وإلى جانب التربة المدرسة العزيزية(٢٣) ، والى جانبها

---

(١٩) مدرسة الكلاسة عمرها نور الدين سنة ٥٥٥ هـ . سمت بذلك لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع . احترقت سنة ٥٧٠ فجددها صلاح الدين « مختصر تنبيه الطالب ص ٧١ » وكانت مدرسة للشافعية « مدارس دمشق للاربلي ص ١٢ » . وقد دثرت في ايامنا ولم يبق منها سوى بحرتها التي جددها سنة ٦٤٧ هـ الأمير جمال الدين بن يغمور وبلط أرضها « مختصر التنبيه ص ٧١ »

(٢٠) ما يزال هذا الباب . ويفتح أحايين لخروج المصلين منه . وفوقه من الداخل كتابتان كوفيتان مؤرختان سنة ثلاث وخمسماية تشيران الى تجديد عمارة الحائط الشمالي. العليا (انظر *Repértoire, VIII, 2934*) والسفلى «المصدر السابق ج ٨ رقم ٢٩٣٣» .
وهـذا الباب ، وباب الكاملية استجدا في القرنين السادس والسابع . ويسميها العمري « جناحا باب النطافين » ص ١٩٥ .

(٢١) أما في أيامنا فأبطلت الصلاة في المشاهد في الأوقات الأربعة . وكذلك أبطلت من الكلاسة لانهدامها . أما داخل المسجد فأول من يصلي الامام الشافعي ، ثم الامام الحنفي ، ثم امام المالكية ومن بعده امام الحنابلة

(٢٢) توفي الملك الأشرف بقلعة دمشق سنة ٦٣٥ هـ ودفن بها إلى أن بنيت تربته هذه جوار الكلاسة فنقل اليها « ذيل الروضتين ص ١٦٥ » وكان فيها مشيخة قراء تولاها أبو شامة « طبقات القراء ١:٣٦٦ » وكان فيها خزانة كتب وقد تهدمت واختفت داخل الدور . وفي عام ١٩٤٠ ظهرت بعض معالمها على أثر قنبلة سقطت هناك فهدمت الدور . وقد ظهرت بعض الأعمدة، وظهر القبر .

(٢٣) نسبة إلى الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين . المتوفي سنة ٥٩٥ هـ . وقد قامت هذه المدرسة مكان دار الأمير أسامة بن منقذ . « تنبيه الطالب ص ٣٨٣ » وهناك مدرسة عزيزية أخرى تنسب الى الملك العزيز ابن الملك العادل المتوفي سنة ٦٣٠ . وهي بالصالحية « تنبيه الطالب ص ٥٤٩ » . ولم يبق من العزيزية الأولى شيء سوى محرابها . « انظر أبنية دمشق التاريخية المسجلة للمنجد » .

تربة السلطـان الشهيد الملك النـاصر صلاح الدين يوسف بن أيوب(٢٤) .

ويتطرق(٢٥) من الأشرفية والعزيزية إلى الـكلاسة ، ومنها إلى الجامع . وكذلك من الجامع إليهن ، ومنها إلى الطريق . وفي الكلاّسة من غربيها زاوية للمغاربة . وآخر الحائط الشمالي فيه زاوية الغزالي(٢٦) يلقي فيها الدروس الفقهاء الشافعية . والمدرس إما خطيب الجامع أو قاضي القضاة .

وإلى جانبها من الغرب بيت الزيت والصومعة(٢٧) التي أخذ منها الحجارة التي بنوا منها الحائط القبلي ، ومنها يُصعد إلى سطح الجامع . وإلى جانبها مشهد عثمان(٢٨) رضي الله عنه . وفيه بركة ماء كبيرة ، وفيه ثلاث شبابيك أحدها الشباك الكمالي(٢٩) الذي (آخر الورقة الاولى) يصلي فيه نائب السلطنة وقاضي القضاة الشافعي .

---

(٢٤) توفي صلاح الدين بقلعة دمشق سنة ٥٨٩ هـ ودفن بها ، وفي سنة ٥٩٢ نقل إلى تربته هذه في العزيزية. « تنبيه الطالب ص ٣٨٢ وما بعدها – البداية والنهاية ١٣ : ٣ » . وما تزال هذه التربة قائمة ، غير أن داخلها قد جدد زمن الأتراك ، ولبست الجدران بالقيشاني انظر عن حالتها الحاضرة :

Sauvaget, *Mausolée de Saladin*

(٢٥) يتطرق الى الجامع من باب مايزال موجوداً ولكنه مسدود بقضب من حديد . وفوقه كتابة كوفية كسر منها الأسطر الثلاثة السفلى .

(٢٦) تعرف أيضاً بزاوية الدولعي ، وبزاوية القطب النيسابوري ، وبزاوية الشيخ نصر المقدسي « البداية والنهاية ١٣ : ١٢٨ » وتسمى بالغزالية لنزول الغزالي بها . وكانت للشافعية « مدارس دمشق للاربلي ص ١٢ – مختصر التنبيه ص ٦٤ »

(٢٧) انظر البداية والنهاية ١٤ : ١٣٤ ، وانظر ما أحدث في المسجد سنة ٧٢٨ هـ .

(٢٨) وكان يعرف بمشهد النائب لصلاته مع العسكر فيه الجمعة غالباً مع العيدين « مختصر التنبيه ٦٤ » وبهذا المشهد كانت تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التي لاينفرد بها حاكم فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم. « مسالك الأبصار ص١٩٦ »

(٢٩) الكمالي نسبة إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري المتوفي سنة ٥٧٢ هـ وفي البستان الجامع أنه فوض اليه الأمر بدمشق عام ٥٥٥ « انظر : B.E.O. T.VII- VIII, p. 133 وكان يجلس في هذا الشباك للحكم فنسب إليه .

وبعده باب البريد ، له ثلاثة أبواب أكبرها الوسطاني(٣٠) . ثم مشهد ابن عروة(٣١) ، وفيه بركة ماء ومحراب ومؤذن راتب . وفيه خزائن كتب(٣٢) كانت بالجامع ، ثم نقلوها إليه لما وسموا الجامع . وإلى جانبه المئذنة الغربية(٣٣) ، وفي أسفلها قاعة بلا ماء وهي لقاضي الحنابلة . يستريحون فيها إذا دخلوا من الصالحية إلى المدينة . وفيها بيوت عدة لجماعة .

ثم [من القبلة] مقصورة الخضر(٣٤) عليه السلام التي فيها الآن محراب الحنابلة . ثم باب الزيادة(٣٥) القبلي ، ثم المحراب المستجد الذي يصلي فيه إمام الحنفية(٣٦) ثم بيت

---

(٣٠) هذا الباب من النحاس ، وفي وسطه ما يلي في المصراع الأيمن :
أنشأ هذا الباب مولانا الملكي الملك لله عام جلظ في جمادي الاول
وعلى المصراع الايسر :
من فضل الله وبره الخفي الواحد القهار عامله الله بلطفه الخفي
وجلظ بحساب الجمل تساوي ٩٣٣ ، أي صنع عام ٩٣٣ هـ .
وعلى المصراع الايمن ، من الباب الايمن الصغير . اسم «المؤيد شيخ أبو النصر» وطمست بقية الكتابات .
وعلى المصراع الأيمن والأيسر من الباب الايسر الصغير : بنظر من زاده قليل سليمان بن خليل

(٣١) جعل هذا المشهد في الغرب كما يدل هذا النص . وكذا في ذيل الروضتين لأبي شامة «ص١٩٦» ، وفي مسالك الأبصار : « والمشهد الغربي على اسم عمر ، ويعرف الآن بمشهد عروة وبه شيخ حديث . . وعدة خزائن كتب . » « ص ١٩٦ » . ولكن النعيمي المتوفي سنة ٩٢٧ يذكر أن هذا المشهد «بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي ، قبلي الحلبية ، ويعرف قديماً بمشهد علي . » «ص ٨٢ من التنبيه » وتبعه العلموي في مختصره « ص٥١ » والبقاعي « مخطوط » وبدران في منادمة الاطلال، ومختصره « مخطوطين » . وكذلك أثبتناه في مخططنا في شرقي الصحن « رقم ٢١ » .

(٣٢) قال ابو شامة في ذيل الروضتين : « قاضي دمشق جمال الدين يونس بن بدران حسن للسلطان المعظم عيسى بن العادل أن يجمع خزائن الكتب التي في الجامع الى مشهد عروة . فنقلت من الزاوية الغربية ومن الكلاسة ومن أروقة الجامع . وكان من جملة المنقول الخزانتان اللتان بحلقة الحنابلة . »

(٣٣) مئذنة جددت زمن السلطان قايتباي . وعليها قلائد من جهاتها كلها فيها : عز لمولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي . »

(٣٤) تسمى «مقصورة الخضر ، والخضراء . وكانت تسمى قبل سنة ٧٢٧ هـ «مقصورة المالكية عدها الاربلي من دور الحديث « مدارس دمشق . . . ص ١٣ » وجعلها النعيمي والعلموى من مدارس الشافعية « التنبيه ص٢٧٦ – مختصر التنبيه ص٥٤ » .

(٣٥) كان يسمى باب الساعات لساعات كانت عليه وصفها ابن زبر القاضي المتوفي سنة ٣٢٩ هـ . « تنبيه الطالب ص ١٧٧ » وقد وصف دهليزه ابن جبير « الرحلة ص ٢٦٩ » . وسمي أيام الاتراك باب العنبرانية «حدائق الانعام . مخطوط في الظاهرية ، ٧٣ عام ، ورقة ١١٢ » ويسمى اليوم باب القوافين .

(٣٦) قال العمري : « ويعرف باللازوردة ، تصلي به الحنفية جوار دار الخطابة » « مسالك ص ١٩٥ » .

الخطابة(٣٧) ، ثم مقصورة الخطابة(٣٨) والمنبر والمحراب والمصحف المكرم العثماني(٣٩) ، ثم مقصورة الصحابة والمحراب القديم(٤٠) الذي يصلي فيه الآن المالكية . وقيل إن هوداً عليه السلام مدفون في الأساس .

ثم رأس يحيى بن زكريا(٤١) عليهما السلام بين العمودين ، وقبة النسر(٤٢) ، والثلاثة الأبواب وباب البرادة(٤٣) الذي في ركن النسر يجري اليها الماء في قلاسة نحاس مصفطة بحجرين كبار . ذكروا أن الذي عملها وأوقفها هو الذي بنى الخانقاه السميساطية(٤٤) .

---

(٣٧) المكان الذي كان يستريح فيه الخطيب .

(٣٨) قال العمري : « مقصورة الخطابة وبها المنبر وامامه سدة الأذان » . « مسالك ص ١٩٥ » .

(٣٩) قال ابن جبير : « وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف عثمان ، وهو المصحف الذي وجه به الى الشام . وتفتح الخزانة كل يوم إثر الصلاة فيتبرك الناس به . » « الرحلة ٢٦٨ » وفي العلموي : « ولما مات الملك دقاق سنة ٤٩٣ هـ قام في السلطنة أتابكة طغتكين . وكان بطبرية مصحف عثمان فنقله طغتكين الى دمشق حيث هو الآن في مقصورة الخطابة « مختصر التنبيه ص ١٤٩ » . وفي البستان الجامع : « وفي عام ٤٩٢ نقل مصحف عثمان إلى دمشق من المعرة »
Une Chronique Syrienne du VI^e XII^e dans B. E. O. T. VII — VIII, P. 115
ويذكر صاحب زبدة كشف الممالك الذي زار دمشق سنة ٨٣٠ هـ أي بعد فتنة تيمور أن بدمشق مصحفاً بخط عثمان . « ص ٤٥ »

(٤٠) هو محراب الصحابة ، والمحراب الاول للمسلمين « مسالك ص ١٩٥ »

(٤١) انظر عن رأس يحيى ورأس زكريا ما يلي : محمد راغب الطباخ ، مجلة المجمع العلمي المجلد ٤١ ج ٣و٤ ص ١٤١ — وابن جبير ص ٢٧٣ — وياقوت معجم البلدان مادة « دمشق » — ومسالك الابصار ص ١٨٨ — وزيارات الشام للحوراني ص ٤ — والاعلام بفضائل الشام للمنيني ص ٨٩ — وتاريخ مسجد دمشق « مخطوط ورقة ٢٣ ب » — وقد بنيت قبة بعد حريق الجامع الاخير ، فوق ضريح راس يحيى بن زكريا ، وزخرفت وعليها آيات قرآنية .

(٤٢) انظر وصفها في ابن جبير « ص ٢٦٨ » . ومسالك الامسالك الامصار « ص ١٩٦ ، ١٩٨ وقد احترقت في الحريق الاخير . فاعاد بناءها مهندس ايطالي على غير ما كانت عليه من قبل . واخبرني من يعرفها أنها كانت أقل ارتفاعا مما هي عليه اليوم . والقبة اليوم لا تمثل القبة الاصلية التي بناها الوليد وجعل فيها شمسيات زجاجية ملونة مذهبة « ابن عساكر ، مخطوط في الظاهرية ، تاريخ رقم ١ مجلد ١ » ولا التي وصفها العمري « ص ١٩٦ » ولا المنيني « الاعلام .. ورقة ١١٦ » .

(٤٣) هو الباب المقابل اليوم للبحرة العثمانية ، وكان يسمى باب السنجق .

(٤٤) انظر التعليق رقم ١٥

وفي وسط الصحن قبة بأربعة عواميد رخام أبيض وفي وسط القبة جرن رخام فيه أنبوبة من نحاس يجري منهـا الماء قدر ذراع ، وسطل حديد معلق بسلسـلة يشرب به الناس(٤٥) .

وفي صحن الجامع من جهة الغرب قبة على عواميد(٤٦) ، ولها باب صغير في أعلاها ، وفيها أوراق(٤٧) . وأيضاً في الصحن من الشرق قبة يزيد بن معاوية(٤٨) . وفي الصحن من الشرق ومن الغرب عامودان رخام وعلى رأسيهما صفة ثعابين من نحاس توضع فيهما خراريق وزيت وتشعل في ليالي الجمع فيضيء منهـا الجامع بأسره(٤٩) . وقيل إن تحت هؤلاء العمد طلسم للحيّات فلا توجد فيه . والله أعلم .

ذكر قياس اللبادين

من درج اللبادين(٥٠) إلى باب الجامع مائة خطوة . والجانبين (كذا) القبلي والشمالي من اللبادين التحتاني حوانيت للتجار . وبالوسط الفوّارة وبركتها المثمنة(٥١) ، وهي شبه

---

(٤٥) اقيمت سنة ٣٦٩ هـ . « مهذب ابن عساكر ٢٠١ » – وصفها ابن جبير « بصحيفة ٢٦٧ » –

(٤٦) هي قبة المال بناها الفضل بن علي العباسي . « تاريخ مسجد دمشق ورقة ٥ » ويقال ان الذي بناها هو الوليد « تعطير المشام للقاسمي . مخطوط » وصفها ابن جبير « الرحلة ص ٢٦٧ » و Sauvaget, *M.H.D*, *P. 23*

وقد اجرى المهندس ايكوشار منذ عشر سنوات حفراً في أسس الأعمدة . فتبين أن الاعمدة قد غطي منها ما يقرب من أربعة أمتار . وظهرت أرض معبد جوبيتر القديم . ثم ثار بعض الجهلاء فغطيت .

(٤٧) يظهر أن هذه القبة ظل يحفظ فيها الاوراق والمخطوطات والمصاحف حتى أيام الحرب الكبرى ففتحت وظهر فيها كتب كثيرة وأوراق بردى ومخطوطات مختلفة . وقد أرسلت هدية إلى ألمانيا بطلب من الامبراطور غليوم . انظر خزائن الكتب بدمشق وضواحيها للزيات

(٤٨) انظر التعليق رقم ٤ ، ص ١١

(٤٩) لا يوجد هذان العمودان في ايامنا .

(٥٠) مكان اللبادين هو اليوم ما أحاط بفوارة جيرون أي النوفرة . إلى باب الجامع الشرقي .

(٥١) قال الذهبي : « ورأيت القصعة ، وهي أكبر من التي وسط طهارة جيرون ، وفي زنارها الاوسط ست أنابيب صغار تفور حول الفوارة وعليها درابزينات . فلما احترقت اللبادين سنة ٦٨١ تلفت هذه القصعة ، وبني عوضها هذه البركة المثمنة . وينبع الماء في هذه البركة من قناة دفنت إليهـا من مكان مرتفع ، فيعلو بها الماء نحو قامة . وسمة الفوارة اعظم من مرآها ، واسمها أجل من معناهـا » مسالك الأبصار ص ٢٠٠

الشجرة . وشرقيها بركة ماء كبيرة وشاذروان ، للناس بهـا نفع كبير للوضوء وغيره . وفيها مسجد ومؤذن وإمام راتب . وعلو الحوانيت ، حوانيت اللبادين . وفوق حوانيت اللبادين بيوت ملاح مطلة على الفوّارة تسمى ربع الجامع ، غالية الأجرة . وشمالي اللبادين القيسارية الجديدة التي هي الآن الذهبيين(٥٢) .

ذكر باب البريد

وكذلك باب البريد . الجانبين (كذا) منه ، القبلي والشمالي، التحتاني حوانيت الشماعين والفاكهانيين وغيرهم . وعلو الحوانيت بيوت ملاح مطلة إلى الجامع وباب البريد . ومن شمالي الجامع ما هو مجاور للجامع مدرستين (كذا) للحنفية ، الواحدة داخلة في الأخرى إحداهما تعرف بالصـادرية(٥٣) والأخرى بالبلخية(٥٤) . ومن شآم باب [البريد] الذهبيين العتيقة ، التي هي سكن المغسلين(٥٥) . وما سمي به باب البريد إلا لأنه كان كل بريد يرد على الوليد بن عبد الملك لا ينزل إلا فيه ، ولا يدخلون اليه إلا منه(٥٦) .

---

(٥٢) لعلها كانت مكان دار آل منجك اليوم.

(٥٣) انظر مختصر تنبيه الطالب ص ٩٤ . وقد ذكر ابن جبير (الرحلةصفحة ٢٧١) انها للشافعية .

(٥٤) انظر المصدر السابق صفحة ٨٠

(٥٥) بسبب وجود المغسلين في هذا المكان فقد نقش على العمود الشمالي الروماني في باب البريد (الذي تقع الذهبيين العتيقة في شماله) مرسوم مملوكي لم ينشر بعد هذا نصه :
١ – بسم الله الرحمن الرحيم رسم بالامر العالي ٢ – المولوي الاميري الكبيري الملكي المخدومي ٣– السيفي سودون الدوادار نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس أعز الله نصره ٤ – أن ينقش بابطال ما كان على المغسلين والحمالين لاموات المسلمين لنائب الحسبة الشريفة ٥ – على الجهة المذكورة حسب المرسوم المذكور ٦– السلطاني الملكي الظاهري تغمده ٧ – [الله برحمته و] رضوانه ...»
وبعد ذلك أسطر كسرت من الكتابة . وقد قرأنا هـذا المرسوم بصحبة الشيخ محمد دهمان .

(٥٦) عن باب البريد انظر أيضاً رحلة ابن جبير ، ومسالك الابصار صفحة ١٩٤

فهرس عام

للمسجد الاموي وما يحيط به

فهرس الأعلام

من مؤلفات وآثار

صلاح الدين المنجد

١ – دور القرآن بدمشق ، لعبد القادر بن محمد النُعيمي (– ٩٢٧ هـ)

مقدمة في مدارس دمشق ، وتطور الحركة العلمية فيها – ذيل في خمسة ملاحق ، ١٠٤ ص ، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٦

٢ – كتاب اللغات في القرآن ، رواية عبد الله بن الحسين بن حسنون (– ٣٨٦ هـ)

١٠٠ ص ، مطبعة الرسالة – القاهرة ١٩٤٦

٣ – رسالة الألفاظ المهموزة ، لابن جني (– ٣٩٢)

١٦ ص ، مطبعة الترقي – دمشق ١٩٤٧ مقدمة – مصادر عن ابن جني – النص

٤ – حمامات دمشق

٢٦ ص ، المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٤٧

نصوص من :

١ – تاريخ دمشق لابن عساكر .

٢ – ورسالة عدة الملمات في تعداد الحمامات ليوسف بن عبد الهادي .

٥ – كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، لابن

٢٠٠ ص ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٧ منشورات ال

٦ – مخطط دمشق القديمة

مقياس ١ – ٢٠٠٠ بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٤٧